

# الكتاب المقدس عطية الله لنا:

## مبادئ علم التفسير

استكشاف الكتاب المقدس

الدرس  
الثالث



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

### حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائلٍ إعلاميةٍ متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٩٢ دولة. وتُنْتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

## المحتويات

I المقدمة

II المعنى الأصلي

III الأساس اللاهوتي

أ. الكاتب

ب. القراء

ج. الوثيقة

١. الوحي العضوي

٢. التكيف الإلهي

IV الأهمية

أ. تاريخ الكنيسة

ب. الكنيسة المعاصرة

V الخاتمة

# الكتاب المقدس عطية الله لنا:

## مبادئ علم التفسير

### الدرس الثالث

#### استكشاف الكتاب المقدس

#### المقدمة

يشبه فهم الكتاب المقدس من عدة نواحٍ القيامَ بحفرٍ أثري. حيث نعرفُ جميعاً أن علماء الآثار يكرسون أنفسهم لدراسة آثارٍ من الماضي. فيحفروا باحثين عن آثارٍ في مواقعٍ قديمة، ويذللوا قصارى جهدهم في استكشافِ أهمية الآثار حين تم إنشائها واستخدامها أولاً. وبنفس الطريقة، يتضمن استكشاف الأسفار المقدسة البحث في شيءٍ يعودُ في أصله إلى الماضي - وهو الكتاب المقدس. فنحنُ نبحثُ في نصوصٍ كتابية تعود إلى آلاف السنين، ونحاول الوصول إلى مغزاها في سياقاتها التاريخية الأصلية القديمة. إن استكشاف الكتاب المقدس في سياقاته القديمة بُعدٌ هامٌ في التفسير الكتابي، لأنه يُمكننا من اكتشاف المعنى الكامل، المعصوم من الخطأ، والذي يمكن الاعتماد عليه تماماً، الذي قصده الروح القدس والكتاب البشر الموحى إليهم، عندما كُتبت الأسفار المقدسة.

هذا هو درسنا الثالث في سلسلة الكتاب المقدس عطية الله لنا: مبادئ علم التفسير، وقد أعطيناه العنوان "استكشاف الكتاب المقدس". سنركز في هذا الدرس على عدة مفاهيم مهمة في استكشاف معنى الكتاب المقدس واكتشافه.

ينقسم نقاشنا لعملية استكشاف الكتاب المقدس إلى ثلاثة أجزاء. أولاً تعريف المعنى الأصلي، الذي هو موضوع استكشافنا. ثانياً، شرح الأساس اللاهوتي للتركيز على المعنى الأصلي للكتاب المقدس. وثالثاً، أهمية إعطاء الاهتمام الكافي بالمعنى الأصلي. ولنبدأ بتعريف المعنى الأصلي.

### المعنى الأصلي

مررنا جميعاً بتجاربٍ أساء فيها شخصٌ ما فهمَ ما قلناه أو كتبناه، وعادةً نردّ على هذا فنقول: "في الحقيقة، ليس هذا ما قصدته". فنحن لا نُحِبُّ أن يستخدم الناس كلماتنا بطريقةٍ تخالف ما قصدناه. وعادةً يمكنُ لبضع كلماتٍ توضيحيةٍ أن تُنتهي سوءَ الفهم. لكن، عندما يتعلّق الأمر بالوصول إلى المعنى الأصلي لشيءٍ قيل أو كُتِب قبل آلاف السنين، مثل الأسفار المقدسة، لا يكون الأمر بهذه السهولة. وهنا علينا أن

نتروى ونطرحُ بعض الأسئلة: ماذا نقصدُ "بالمعنى الأصلي" لنصِ كتابي؟ لماذا ينبغي أن نهتمَّ به؟ وما أهميته بالنسبة لنا اليوم؟

دارت جدالات لا حصر لها بين العلماء حول كيفية تعريف المعنى الأصلي. ولكن في سلسلتنا هذه، سنعرّف المعنى الأصلي للنصّ بأنه:

**المفاهيم والسلوكيات والعواطف التي قصد الكاتب الإلهي والكتاب البشريون معاً أن تنقلها الوثيقة المكتوبة لقراءها الأصليين.**

وليس من شكّ في أنّ ثمة عدداً من التعقيدات التي يثيرها هذا التعريف، وسنعالج بعض هذه التعقيدات في معالجتنا لهذا الموضوع.

لنبدأ بالكلمة "تنقل"، حيث سننظر إليها بأوسع معنى ممكن. أراد الروح القدس والكتاب البشريون للكتاب المقدّس أن تتواصل الأسفار والكتب الكتابية في مستويات كثيرة. مؤسف أننا نميل للتفكير في أن الكتاب المقدس يتواصل بشكلٍ أساسيٍّ على مستوى الأفكار أو المفاهيم التي أراد كُتّاب الكتاب المقدّس نقلها لقراءهم. فمعنى الكتاب المقدس أغنى من هذا بكثير. ويعبّر أحد الأمثال التقليدية القديمة عن هذه الحقيقة بالقول: الكتاب المقدس يتواصل على مستويات العقل واليدين والقلب. ولصياغة هذا المثل بتعابير ومصطلحات استخدمناها في هذا الدرس، نقول: الكتاب المقدّس يتواصل في إطار المفاهيم والسلوكيات والعواطف. فقد صاغ كُتّاب الكتاب المقدّس كتبه وأسفاره بطريقةٍ تجتذب انتباه القراء لمفاهيمهم وسلوكياتهم وعواطفهم، هذا بالإضافة إلى مفاهيم وسلوكيات وعواطف الآخرين المذكورين في كتبهم. ولكن لا يقتصر هدف النصوص الكتابية على هذا، إذ إنّها تهدف إلى التأثير على مفاهيم القراء وسلوكياتهم وعواطفهم وتغييرها. فنقرأ في ٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧:

**كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانٌ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ (٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).**

قصد الروح القدس من الكتاب المقدّس هو أن يُنجز كلَّ هذه الأمور وأكثر في حياة المؤمنين. ولذا، فإننا حين نقول إن استكشافنا وبحثنا يتعلّق باكتشاف المعنى الأصلي فنحنُ نقصد أننا لا نحاول أن نقصر عملنا في البحث على ما عنته الكلمات والجُمَل بالمعنى الفكري الضيق للكلمة. ولكننا نبحث عن التأثير

الكامل لما قصده الكُتَّاب على حياة قرائهم الأوائل.

وفي دراستنا لمفهوم المعنى الأصلي، مفيدٌ أن نفكر بثلاث نواحٍ رئيسية: الوثيقة الكتابية التي نقوم باستكشافها والبحث بها، والكاتب البشري الذي أوحى الروح القدس له بأن يكتب الوثيقة، والقراء الذين قصد الكاتب البشري أن يكونوا أول من يتلقَى وثيقته المكتوبة.

الوثيقة نفسها مهمةٌ لأنها كلمة الله الفعلية التي أُرسِلت إلى القراء الأوائل. والكاتب البشري مهمٌ لأنه من خلال عملية الوحي العضوي، تعكس الوثيقة أفكار الكاتب ونيّاته وعواطفه ومهاراته الأدبية، وغيرها من الأمور. كما أن القراء الأوائل أيضاً عنصر مهم، لأن الروح القدس والكاتب البشري صاغا الوثيقة بحيث تكون موجّهة لهم وتكلمهم في سياقهم وظروفهم. هذا يعني أنّ كلّ نصّ كتابي قد صيغ ليتناسب مع ظرف في التاريخ ووضع حياتي كان القراء الأصليون للنصّ يمرّون به ويعيشونه.

صحيحٌ أن الكُتَّاب البشريين أثروا بقرائهم بطرقٍ لم يقصدوها، ولكنّ في عملية الاستكشاف، نحن مهتمّون بالوصول إلى الكيفية التي قصد كُتَّاب الكتاب المقدّس أن يؤثروا بها على القراء الأصليين من خلال ما كتبوه. ولذا، فإن استكشاف المعنى الأصلي لمقطع كتابي معيّن يشتمل على استكشاف النصّ الكتابي ضمن الظروف التاريخية الخاصّة بالكاتب وقراءه الأوائل الأصليين. وهذا النوع من الاستكشاف يتطلّب الكثير من البحث والتفكير والتخيّل الحذرين والحريصين. وبكلماتٍ أخرى، هو يتطلّب الكثير من الجُهد البشري لأنّ الوثائق الكتابية التي لدينا لم تُعد موجودة في سياقاتها الأصلية.

بعد الوصول إلى هذا الفهم للمعنى الأصلي، لننظر إلى الأساس اللاهوتي للتشديد عليه في عملية استكشاف الكتاب المقدّس.

## الأساس اللاهوتي

ثمة أساس لاهوتي سليم للتشديد على ثلاث نواحٍ في المعنى الأصلي في عملية استكشافنا للكتاب المقدّس. سنتكلّم أولاً عن الأساس اللاهوتي لضرورة الاهتمام بالكاتب. وثانياً، سننظر إلى القراء الأصليين. وثالثاً، سننظر إلى عمل الوثيقة نفسها. ولنبدأ بالأساس اللاهوتي للاهتمام بالكاتب البشري.

### الكاتب

ذكرنا في درسٍ سابق أن الكتاب المقدّس قد أوحى الله به وحيّاً عضويّاً. فقد اختار الروح القدس أن

يوصل كلمته من خلال شخصيات كُتّاب الكتاب المقدس البشريين وتجاربهم وعواطفهم وأنماط تفكيرهم. وثمة مقاطع كثيرة في الكتاب المقدس يُشار فيها بوضوح إلى أهمية الكُتّاب البشريين. فمثلاً، استمع إلى ما قاله يسوع في إنجيل متى ٢٢: ٤١-٤٥:

سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلًا: "مَاذَا تَتَطَوَّنُونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟" قَالُوا لَهُ: "ابْنُ دَاوُدَ". قَالَ لَهُمْ: "فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟ قَائِلًا: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟" (متى ٢٢: ٤١-٤٥).

أشار يسوع في هذا المقطع إلى كتابة داود للمزمور ١١٠، وقد ربط تفسيره للمزمور بشكلٍ خاصٍ بحقيقة أن كاتبه البشري كان داود.

أشار يسوع إلى أنه لكون داود دعا المسيح "رباً"، فهذا يعني أن المسيح لم يكن ابنَ داود فقط. إذ لا بدّ أنه أعظم من داود. وفي الحقيقة، لا يكون لكلام يسوع معنى إلا إن انتبهنا لحقيقة أن داود هو من كتب هذا المزمور. وكما فعل يسوع هنا، فإن كل تفسير مسؤول يُقرّ بأهمية الكُتّاب البشريين للكُتُب المقدّسة.

أحد الأمور الممتعة في قراءة ودراسة الكتاب المقدس هو الوصول إلى معرفة أعمق لكُتّاب الكتاب المقدس. كثيراً ما تعطي هذه المعرفة إنارة في فهم الكتاب المقدس وفهماً أعمق له. وثمة أمثلة كثيرة على هذا. فكروا مثلاً بخدمة إرميا، النبي الباكي. مفيد أن نفهم ما مرّ به: فقد تنبأ بالدينونة الآتية على شعب الله في أورشليم، ومن ثمّ عاش هو شخصياً مجيء تلك الدينونة على مدينته، ورثا الكارثة التي حلّت بها. إن فهم هذا يعطينا فهماً أعمق وأغنى لكامل كتاب إرميا. أو فكّر بكلّ ما نعرفه عن الرسول بولس وبمدى فائدة قراءة رسائله في سياق القصص التي نقرأها عن خدمته في سفر أعمال الرسل. يعزّز الكتاب المقدس معناه بمساعدتنا في فهم حياة واختبارات وتجارب كُتّاب الكتاب المقدس، وهذا يعطينا أن نرى تعليمهم في سياقه الصحيح فنفهمه بشكلٍ أفضل .

—الدكتور فيليب راكين

يساعدنا التركيز على الكاتب البشري في فهم الكثير من سمات وملامح النصّ الكتابي. وكمثالٍ توضيحي على هذا، انظر إلى الطريقتين المختلفتين اللتين يروي بهما ٢ صموئيل و ١ أخبار الأيام قصة مُلك

داود. يخصّص ٢ صموئيل تسعة فصول للحديث عن خطية داود مع بثشبع وتمرد أبشالوم الذي تلا خطية داود. ولكن ١ أخبار الأيام لا يخبرنا بأيّ شيءٍ عن هذه الأمور، بل إنّه لا يذكر اسمي بثشبع وأبشالوم، إلا في سلاسل الأنساب المتعلقة بدأود وأولاده. فلماذا لم يذكر كاتب الأخبار هذه الأحداث الرئيسية في حياة داود؟ يتعلّق الجواب بالظروف التاريخية ومقاصد الكُتّاب البشريّين لكتاب ٢ صموئيل و ١ أخبار الأيام. كان كاتب ٢ صموئيل مهتماً بإظهار أن نسل داود هو اختيار الله ليكون للسلالة الملكية في إسرائيل، بالرغم من عيوب داود. ولذا، فإن رواية قصّة خطية داود وكيفية تعامله لاحقاً معها كانت أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لقصد الكاتب. أمّا كاتب كتاب الأخبار فكان يكتب قصّة تاريخية مركّزة ومختصرة عن شعب إسرائيل للعائدين من السبي. لم يتناقض كاتب سفر الأخبار مع ما أورده كاتب سفر صموئيل، ولكنّه لم يدوّن إلا أحداث حياة داود التي كانت تتسجم مع مقاصده في الرواية، والتي كانت تعليم القادة العائدين عن الطريقة التي يجب أن يحكم بها الملوك الداوديون شعب إسرائيل.

تتوفّر لدينا اليوم الكثير من المعلومات عن السياق الأصلي الذي فيه كتب كُتّاب الكتاب المقدّس، وذلك فيما يتعلّق بالكاتب والقراء الأصليين لكتبهم وأسفارهم. ويمكن لتلك المعلومات أن تكون بالغة الفائدة والأهمية، وتساعدنا في فهم وتطبيق النصّ الكتابي بحكمة وأكثر اتزاناً و يقيناً، فلا نقول شيئاً لم يقصده الكاتب الأصلي أو لم يفهمه القراء الأصليون. وفي الوقت نفسه، أعتقد أن ذلك النوع من المعلومات، المختصة بخلفية الكاتب والقراء الأصليين، هي ما أحب وصفه بأنه "خادم ممتاز، ولكن سيّد رديء". فيمكن لهذه المعلومات أن تساعدنا في تفسير الكتاب المقدّس، ولكن إن جعلناها الطريق الوحيد لفهم ما يقوله الكتاب المقدّس، فأظنُّ أنّها ستحدُّ فهمنا، وقد تقوده في طريقٍ خاطئٍ في بعض الأحيان. وبهذا نرى أن هذه المعلومات مفيدة، ولكن لا تجعلها هدفك الرئيسي في دراستك الكتاب المقدّس.

—الدكتور جوناثان بينجتون

من المهم جدّاً معرفة سياق الكاتب الأصلي لفهم جزءٍ مُعيّن في الكتاب المقدّس. ولكن يجب الإنتباه: فسلطة الكتاب الفعلية هي فيما هو مكتوب، وليس فيما نعرفه عن خلفية الكاتب. ولذا، يبقى كلام الكتاب المقدّس صحيحاً حتّى إن لم نفهم تماماً خلفية الكاتب. لكن إن توصلنا إلى فهم أفضل لسياق الكاتب وشخصيته، فهذا يساعدنا في تخيل بعض

الأمر المتعلّقة بالسياق. فمثلاً، يمكننا أن نتخيّل بولس وهو في السجن، ومن ثمّ أن نتخيّل بعض الأمور الطبيعية المتوقّعة في ذلك الوضع. وهذا يجعل من الكتاب المقدس ثلاثي الأبعاد وحيويًا.

—الدكتور بيتر واكر

في مقاطع مثل التي ذكرناها، يُظهر الكتاب المقدّس مدى أهمية أن نركّز لا على الله، الكاتب الأسمى للكتاب المقدس، فحسب، بل وعلى الكُتّاب البشريين الذين أوحى إليهم أيضاً. وهذا يعني أن علينا أن نعرف أكبر قدرٍ ممكن عن أوضاع هؤلاء الكُتّاب وشخصياتهم وتجاربهم ومهاراتهم ومقاصدهم. بعد أن نظرنا إلى الأساس اللاهوتي للتشديد على الكاتب البشري لوثيقة كتابية ما، لننتقل إلى ناحيةٍ أخرى مهمة في استكشافنا للمعنى الأصلي، وهي القراء أو المُتلقون الأوائل لتلك الوثيقة.

### القراء

هل لاحظت أن الله عبرَ التاريخ الكتابي، أعطى كلمته لشعبه بطرقٍ تناسبت مع ظروفهم التاريخية؟ تخيّل لو أن الله أعطى شعب إسرائيل القديم نسخةً إلكترونيةً للوصايا العشر. أو لو أن الله أعطى أسفار العهد الجديد للكنيسة الأولى بلغةٍ فرنسية أو صينية حديثة؟ تعتبر هذه التصورات غير منطقية، لأن القراء الأصليين للكتاب المقدس لن يتمكنوا من فهم ما قاله الله لهم. وبالطبع، ليس هذا ما فعله الله على الإطلاق. فقد كتب الوصايا العشر على لوحين من الحجارة. وقادَ رسل المسيح وأنبياءه للكتابة باللغة اليونانية. في الواقع، على مرّ التاريخ الكتابي، كان الله دائماً، بدرجةٍ أو بأخرى، يُكيّف إعلانه بما يتناسب مع القراء الأصليين حتّى يتمكنوا من الفهم.

يُقصّد بالتكليف الإلهي:

أن الله صمّم إعلانه بحيث يُفهم من القراء الأصليين.

فالأفكار والكلمات التي استخدمها وأوردها في الكتاب المقدس كلمات تتناسب مع ثقافة القراء الأوائل وما لديهم من تكنولوجيا وهيكلية، بل واختبارات دينية حتّى يتمكنوا من فهم ما يقوله.

مفيدٌ أن نتصوّر التكليف الإلهي بأنّه طيف يمتدّ من التكليف العامّ إلى التكليف الخاص. فعلى أحد

طرفي الطيف نرى أن كل مقاطع وأجزاء الكتاب المقدس قد كُتبت لنتناسب مع الحالة البشرية الكونية. ونقصد بهذا أنه في كل مرة أعلن الله نفسه للبشر كان يعمل هذا بحيث يُفهم ذلك الإعلان بطريقة أو بأخرى عند كل إنسان عبر التاريخ في كل العالم.

استمع إلى الطريقة التي يصف بها جون كالفن النواحي العامة للتكليف في كتابه *أساسيات الديانة المسيحية* (Institutes of the Christian Religion)، الكتاب ١، الفصل ١٣، القسم ١:

من ... لا يفهم ذلك، يعمل الله كما تعمل المُرَبَّة مع الرضيع - فيميل الله لأن "يلتغ" (إن جاز التعبير) في كلامه معنا؟ ... هذه الأشكال في الكلام ... تكيف معرفته بحدود قدرتنا الضعيفة.

كما أشار كالفن، فإن عقل الله أسمى من عقولنا بما لا يُقاس، ولذا فهو يكلمنا كما تكلم المُرَبَّة رضيعاً. فلأن الله أعظم منا بما يفوق القياس، كان عليه أن ينحني وينزل لنتمكّن من فهمه.

نرى هذا النوع من التكليف الكوني في كل الكتاب المقدس. يظهر هذا التكليف بشكلٍ مثير في الأُسنة، أي حين يصف الكتاب المقدس الله وهو يتكلم أو يعمل أو يظهر بطرقٍ تُظهِره وكأنه إنسان. فيتكلم الله لغةً بشرية، ويحزن، ويغيّر نيّاته، وي طرح أسئلة. هذه الملامح وغيرها الكثير الكثير، التي تظهر في الإعلان الإلهي، تهدف لأن تتكلم بما يتناسب مع المحدوديات البشرية العامة.

قرب منتصف طيف التكليف الإلهي، نرى الله يقدم إعلانه بطريقة تتناسب مع التوقّعات والمفاهيم الثقافية. فمثلاً، أعلن نفسه في الشرق الأدنى القديم. وفي هذا السياق الثقافي، أقام عهداً تشابه المعاهدات الدولية التي كانت تُعقد في الشرق الأدنى القديم. وفيما يتعلّق باللغة، فقد أعلن الله نفسه من خلال لغات القراء الأوائل، فأعلن نفسه لشعب إسرائيل باللغتين العبرية والآرامية في العهد القديم، وأعلن نفسه لكنيسة العهد الجديد في العالم باللغة اليونانية. فالإعلان الإلهي في الكتاب المقدس أخذ في اعتباره هذه الظروف الثقافية العامة للقراء الأصليين للكتاب المقدس. استمع إلى متى ١٩: ٨، كمثالٍ على التكليف بما يتناسب مع الوضع الثقافي والتوقّعات والمفاهيم الثقافية:

قَالَ لَهُمْ: "إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ فَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَطْلِقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا" (متى ١٩: ٨).

لقد قال المسيح في الآيات السابقة إن الله رسم الزواج حين خلق الإنسان، ولم يكن الطلاق جزءاً من الوضع المثالي للزواج. ثم وضح أنّ موسى سمح بالطلاق في التثنية ٢٤: ١-٤ فقط بسبب أن أذهان شعب إسرائيل كانت غليظة، أي غير قادرة على فهم مقياس أكثر نضجاً.

ففي التثنية ٢٤، أعطى موسى تشريعاً يتطلب إعطاء شهادة طلاق للمرأة المطلقة. وقد استخدم بعض الفريسيين في زمن يسوع هذا المقطع لتبرير الطلاق لأي سبب، طالما أعطيت شهادة بذلك الطلاق. ولكن لاحظوا كيف أشار يسوع إلى تكييف الله لإعلانه بما يتناسب مع قراءه الأصليين. فقد قال إنَّ الله أعطى هذا التشريع "من أجل قساوة قلوبكم". وعلى أساس هذه الحقيقة، أظهر يسوع أن موسى "سمح" بالطلاق كنوع من التكييف مع القراء الأوائل، أمة إسرائيل. لم يكن الطلاق وضعاً نموذجياً، وفي الحقيقة لم يكن أمراً مقبولاً. ولكن في ضوء روح شعب إسرائيل المعاندة وغير الغافرة وغير الناضجة، أمر الله بإعطاء شهادات طلاق كطريقة تقلل الضرر الذي يمكن أن تتسبب به خطيتهم.

يدلُّ هذا المثل على أهمية استكشاف القراء الأصليين للمقطع الكتابي. كان هذا التصويب الذي أجراه يسوع يعتمد على حقيقة التكييف الإلهي في ناموس موسى بما يتناسب مع القراء الأصليين للكتاب المقدس. على الطرف الآخر من طيف التكييف، نرى الله قد كيّف إعلانه بما يتناسب مع وضع خاص ومجموعة خاصة كلمها. فوضع في اعتباره نقاط قوة ونقاط ضعف وإنجازات وهزائم مجموعات معينة من الناس، وفي بعض الأحيان أفراد معينين.

فمثلاً، لدينا في العهد الجديد رسائل كثيرة موجهة إلى كنائس معينة، وفي بعض الأحيان موجهة لأشخاص معينين. وفي هذه الرسائل، في مقاطع مثل كولوسي ٣، نجد تعاليم معطاة لمجموعات صغيرة ضمن تلك الكنائس، مثل الآباء والأولاد والعبيد والسادة. وبعض رسائل بولس وُجّهت لأفراد، مثل رسائل فليمون و ١ تيموثاوس و ٢ تيموثاوس وتيطس. شكّل وصاغ الروح القدس هذه الإعلانات الكتابية بطرق تفي بحاجات القراء الأصليين. ولذا، فإنّه لفهم الإعلانات الإلهية بشكل صحيح علينا أن نعرف أكبر قدر ممكن عن القراء الأصليين.

مهمٌّ لنا أن نفهم سياق القراء الأوائل الذين وجّه إليهم كُتاب الكتاب المقدس كتبهم وأسفارهم. هذا أمرٌ بالغ الأهمية. فمثلاً، لننظر إلى رسالة العبرانيين، ونحن لا نعرف كاتب هذه الرسالة، ولكننا نراه يكتب لمجموعةٍ مضطهدة من المسيحيين من أصل يهودي، كانوا يواجهون تجارب كثيرة تدفعهم للعودة إلى اليهودية لأنهم ينالون بعض الحماية في ظل اليهودية. ولذا، حين كانوا في مواجهة مضطهديهم، كانوا معرّضين لأن يتركوا إيمانهم

المسيحي. وما نراه هنا هو أن الكاتب يفهم السياق التاريخي لقراء رسالته، ويحاول أن يشجعهم من خلال إظهار تفوق يسوع المسيح وسموه على كل رجال العهد القديم وأنظمتهم ومؤسساته.

—الدكتور ستيفين أوم

أعلن الله نفسه من خلال ما كتبه كَتَاب الكتاب المقدس لمجموعةٍ من الناس موجودة في مكان مُعين وفي زمان مُعين. هذا أحد الأمور المُميّزة واللافتة بشأن الكتاب المُقدّس. فهو ليس مجرد مجموعة من الصفات المعطاة من فوق. بل الله يكلم مجموعة مُعيّنة من الناس في سياق مُعين. ولذا، حين نعرف كيف فهم هؤلاء ما سمعوه عن الله، وما تلقّوه من الله، فإن هذا يساعدنا في معرفة حدود فهمنا. فإن كنّنا أفهم الكتاب المُقدّس بطريقةٍ تختلف جداً عما فهمه القراء الأصليون، فإن ثمة خطأً في فهمي. ليس من شك في أن سياقي الخاص يؤثر في فهمي، ولكن ينبغي فهم سياقي في ضوء سياقهم، وعندئذٍ سأعرف الحدود المحتملة والممكنة للتفسير.

—الدكتور جون أوزولت

بعد أن نظرنا إلى أهمية استكشاف الكاتب والقراء الأصليين، من خلال حديثنا عن الأساس اللاهوتي الذي يشجع على استكشافنا المعنى الأصلي للكتاب المُقدّس، صرنا الآن مستعدين للتركيز على الوثيقة الكتابية نفسها.

### الوثيقة

ينبغي أن يكون واضحاً لنا أنه إذا أردنا أن نعرف المعنى الأصلي لمقطعٍ كتابيٍّ معيّن، علينا أن ننظر إلى المقطع نفسه. وهذا يعني بالنسبة إلى الكثير منّا، أن نقرأ الترجمات الحديثة للكتاب المُقدّس. ليست الترجمات الحديثة معصومة من الخطأ، لكنّها تمثل إحدى أهم خدمات التعليم في الكنيسة. وما دُنا حريصين على عدم الاعتماد كثيراً على كلمة أو عبارة مُعيّنة، قد تكون مختلفة في ترجمةٍ أو أخرى، يمكننا أن نتعلم الكثير من الترجمات التي نستخدمها. لكن، كما يؤكد هذا الدرس، علينا أن نبذل كل ما بوسعنا لفهم المعنى الأصلي للمقاطع الكتابية – أي ما قصده الروح القدس والكتّاب الذين أوحى لهم. ولهذا، علينا اغتنام أية

فرصة يعطيها لنا الله لنتعرّف بشكل أفضل على اللغات الأصلية للكتاب المقدّس: أي العبرية والآرامية في العهد القديم، واليونانية في العهد الجديد. وفي حين أن القليل منّا فقط يصبح خبيراً في هذه اللغات، غير أن كلّما ازدادت معرفتنا بها، نكون أكثر قدرة على فهم المعنى الأصلي للأسفار المقدّسة.

يمكن رؤية الأساس اللاهوتي للتشديد على الوثائق الكتابية ضمن عملية الاستكشاف في عقيدتين مهمّتين: عقيدة الوحي العضوي، وعقيدة التكييف الإلهي. ولننظر الآن إلى هاتين العقيدتين وما تقدّمانه بشأن أهمية الوثائق الكتابية، ولنبدأ بعقيدة الوحي العضوي.

## الوحي العضوي

تعلّم عقيدة الوحي العضوي أن الروح القدس أوحى للكُتّاب البشريين ليكتبوا الكتاب المقدّس. ولكنّها لا تقول إنّ كلّ نسخة سيتمّ إعدادها لاحقاً لتلك الوثيقة ستكون كاملة، أو أن كلّ ترجمة ستتّم لتلك الوثيقة ستكون كاملة. في الواقع، في أماكن مثل إرميا ٨: ٨ يقول الكتاب المقدس نفسه أنه يمكن لنسخ الوثائق الكتابية أن تحتوي على أخطاء. وقد رأينا جميعنا أنّ ترجمات الكتاب المقدّس يمكن أن تختلف فيما بينها بشكل كبير.

لكون عقيدة الوحي العضوي تخصّ النصوص الأصلية للكتاب المقدّس فقط، فإن تلك الوثائق فقط هي التي لها سلطة الله نفسه الكاملة. فالتغييرات التي حدثت في هذه النصوص حين تم نسخها عبر العصور ليست بوحى من الله، وهذا ينطبق على الترجمات أيضاً. ولذا، لزيادة ثقتنا بالوصول إلى المعنى الأصلي للكتاب المقدّس، علينا أن نبذل كلّ جهدٍ ممكن للوصول إلى النصّ الأصلي الذي أوحى به الله فعلاً ودراسته. طبعاً نحن في أيّامنا هذه لا نحظى بفرصة امتلاك الوثائق الأصلية للكتاب المقدّس، لأنّها لم تُعد متوفّرة. فهي غير موجودة في مزارٍ ديني ما أو في متحف، وليس لدينا سوى نصوصٍ منسوخة وترجمات. وسلطة هذه النسخ والترجمات تعتمد دائماً على مدى جودة تمثيلها للوثائق الأصلية التي كتبها كُتّاب الكتاب المقدّس بوحى الروح القدس.

عادةً ما يثير أعداء الإيمان المسيحي هذه الحقيقة كسببٍ لرفض سلطة الكتاب المقدّس رفضاً مطلقاً. ويقول العلمانيون إنّنا لا نستطيع معرفة ما قالته النصوص الأصلية للكتاب المقدّس، ولذا لا نستطيع أن نتبع ما قالته. وكثيراً ما يقول المسلمون إن القرآن حفظه الله بشكلٍ كامل، ولذا فهم يثقون بالقرآن أكثر من الكتاب المقدّس. كثيراً ما تُثار هذه القضايا، حتّى إنّنا علينا أن نتوقّف قليلاً لنقدّم بعض الشرح.

أولاً، أحد الأمور التي ينبغي أن يتدكّرّها تلاميذ المسيح وأتباعه هو أن الوثائق الأصلية للعهد القديم لم تكن موجودة حتّى في زمن يسوع المسيح. ففي تلك الفترة، كان يوجد نسخٌ عبرية مختلفة للعهد القديم، كما

وُجِدَتْ نُسخٌ مختلفة في الآرامية، بالإضافة إلى عدة ترجمات سبينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم. ومع هذا، فقد آمن يسوع ورسله بأن الكتاب المقدس بشكله المتوقّر بين أيديهم يستحقّ الوثوق به، وهو كافٍ ومؤهلّ لقيادة شعب الله. وهذا يشابه وضع الكنيسة الأولى أيضاً، التي كانت تستخدم نسخاً عديدة لكتب العهد الجديد، لأنهم كانوا يؤمنون أنها تُسخ يمكن الاعتماد عليها وكافية تماماً لإرشاد شعب الله وتوجيهه.

ثانياً، يحظى المسيحيون اليوم بامتياز التمتع بنتائج عقودٍ كثيرة من البحوث العلمية التي خُصّصت لدراسة النسخ القديمة للكتاب المقدس والمقارنة بينها. وقد أكّدت هذه البحوث مرةً تلو الأخرى على أن النصوص العبرية واليونانية للكتاب المقدس المتوقّرة لدينا هي أكثر موثوقية من النصوص المتوقّرة لمعظم الكتابات القديمة الأخرى. فالله في عنايته حفظ الكتاب المقدس بطرقٍ فريدة. ولهذا، فإن النسخ المتوقّرة بين أيدينا للكتاب المقدس لا تزال كافيةً تماماً في قيادة كنيسة المسيح إن فسّرناها بكلّ حرصٍ وانتباه.

كان نقل الكتب في القديم يتم من خلال نسخها باليد، وحين يحدث هذا، قد تتسلّل أخطاء طبيعية تتعلق بالنسخ: أخطاء إملائية، سقوط كلمات، وغيرها. هذه التغيّرات لا بد منها. ولكن السؤال هو: هل هذه التغيّرات عظيمة التأثير إلى درجة تجعلنا نتساءل إن كان ما لدينا حقاً هو الكلمات الأصلية للكتاب المقدس. ولكي نتأكد من ذلك نستطيع أن ننظر إلى كلّ المخطوطات المتوقّرة للكتاب المقدس، ونقارن فيما بينها، فنرى مقدار التغيير الذي حدث عبر الزمن. وثمة خبر سارّ هو أنّ للكتاب المقدس مخطوطات كثيرة نستطيع المقارنة فيما بينها، فنرى كيف تطوّرت تلك المخطوطات عبر الزمن. ويمكننا أن نرى من خلال ذلك ما كان النص الأصلي عليه في الحقيقة. وهكذا نقول: نعم أدخل النساخ بعض التغيرات في النص من وقتٍ لآخر، ولكنّ هذه التغيرات لا تصل لحدّ عدم تمكّنا من استعادة النصّ الأصلي بطريقة ممتازة وأمانة جداً.

—الدكتور مايكل كروجر

نُسخ الكتاب المقدس باليد قرناً بعد قرنٍ. في عام ١٤٥٤ اخترع غوتنبرغ آلة الطباعة، وحتى ذلك التاريخ، كلّ نسخة للكتاب المقدس كانت تتمّ بالنسخ اليدوي. ولذا، فإن إجابتنا على إن كان نصّ الكتاب المقدس قد تعرّض للتغيير عبر الزمن هي: بالتأكيد حدث ذلك. ولكن كيف تعرّض لهذه التغيرات، وما مقدار ما تغيّر؟ أحمّد الأمور المدهشة جداً فيما يتعلّق بنسخ الكتاب المقدس هو أنّه ليس من عقيدة رئيسية تتأثر بهذه الاختلافات في

النص. ويمكننا أن نقول: لا بدّ أن شخصاً ما وراء الكواليس يحفظ النصّ لنا. ولكن أكرّر ثانيةً بأنّ هذه التغيّرات والاختلافات النصّية لا تؤثر بأيّ معتقد رئيسي أو عقيدة مسيحية أساسية.

—الدكتور دانيال والاس

وبرغم هذا، ولكون الترجمات الحديثة غير كاملة، فإن علينا أن نكون منفتحين لتحسينها حسبما ترشدنا البحوث الحديثة. كما أن علينا ألا نسمح لتفسيراتنا للكتاب المقدّس بأن تعتمد أكثر ممّا يجب على عبارة ما أو اختيارٍ لكلمة ما، أو أمرٍ بسيط لا يظهر إلا في بعض المخطوطات القديمة أو في ترجمات مُعيّنة للكتاب المقدّس. علينا أن نعمل جاهدين للتأكد من تفسيراتنا للنصوص بمقارنتها بأجزاء ومقاطع أخرى في الكتاب المقدّس.

بعد هذه النظرة وهذا الشرح للوحي العضوي، ننتقل الآن إلى الأساس اللاهوتي الثاني للتشديد على الوثائق الكتابية في استكشافنا للكتاب المقدّس، وهو عقيدة التكيف الإلهي.

## التكيف الإلهي

تشير عقيدة التكيف أو التكيف إلى أن كل ما في الكتاب المقدّس من كلمات وقواعد لغوية وأسلوب أدبي إنما يعتمد على ما كان مستخدماً في تلك الفترة من الناحية اللغوية والثقافية. وهكذا، فإن الانتباه الحريص للكيفية التي تظهر بها هذه الأمور سيساعدنا في الغالب في تفسيرها تفسيراً صحيحاً. وكمثالٍ على هذا، استمع إلى رواية الحدث التالي الواردة في إنجيل يوحنا ٢٠: ١٦:

قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَأَلْتَفَّتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ (يوحنا ٢٠: ١٦).

انتبه جيداً إلى الكلمة "ربّوني". نص هذا الإنجيل مكتوب في اليونانية، ولكن حين اقتبس يوحنا ما قالته مريم، لم يستخدم الكلمة اليونانية لـ"معلم"، ولكنّه استخدم الكلمة الآرامية، ثم أعطى ترجمة لها. أشار يوحنا إلى ما قالته مريم باستخدام التعبير الآرامي "ربّوني"، الذي كان الكلمة الأصلية التي قالتها مريم ليسوع. ولكن واضح أن يوحنا كان يعرف أن عدداً كبيراً من قرائه الأوائل لم يكونوا يعرفون

الآرامية. ولذا، كيف هذا النصّ لهم بإعطائه ترجمة يمكنهم فهمها، فأورد الكلمة اليونانية *ديدا/سكالوس*، أي "معلم". باستخدام المصطلح "ريوني" أدخل يوحنا لحظةً من التردّد رفعت المستوى الدراماتيكي التّأثيري لاستجابة مريم. وقد قاد نصّ يوحنا هذا قراءه لتخيّل الصوت الفعلي لصرخة مريم المبتهجة، ما ساعدهم على فهم مدى فرحتها بالمُخلص المقام.

هذه الأساليب الأدبية وما شابهها تُظهر أهمية التكييفات في الوثائق الأصلية للكتاب المقدّس، وتشجّعنا على التركيز على قضايا شبيهة في استكشافنا للمعنى الأصلي.

حين تقرأ الكتاب المقدّس يتّضح لك أن الكُتاب عملوا ما يستطيعون لمساعدة قرائهم الأصليين على فهم ما يقوله النصّ. فمثلاً، قد يُترجم كُتاب الأناجيل كلماتٍ عبرية أو آرامية ليفهمها القراء الأوائل. وفي بعض الأحيان، يُشار إلى بعض الأماكن مع الإشارة إلى ارتباطها بأماكن أخرى، وذلك لمساعدة القراء على فهم جغرافية تلك الأماكن. وثمة طُرُقٌ أخرى تُظهر أن الكُتاب كانوا يعتقدون أن القراء الأصليين يحتاجون لمساعدةٍ في فهم النصّ، فكانوا يضعون بين أيديهم بعض الأدوات التي تساعدهم على فهمه بشكلٍ صحيح.

—الدكتور سايمن فايبرت

لكلّ شيء بشري سياقه الثقافي. فلا يمكنك أن تخاطب البشر من دون لغة بشرية أو ثقافة بشرية. وهكذا، حين يوصل الله رسالته لنا، فإنّه يوصلها بطرق يمكننا فهمها. وحين تكون هذه الرسالة بكلمات، مثل الكتاب المقدّس، فإنها تكون بلغةٍ مُحدّدة. كما أنّها تصلنا في أشكالٍ ثقافية ملموسة، هي الأشكال والأنماط التي تم إيصال الرسالة بها وفي إطارها. بعض الأمور تنطبق على كلّ الثقافات. فمثلاً الوصية: "لا تزن" هي الوصية ذاتها في كلّ الثقافات. ... ولكن ثمة أمور في الكتاب المقدس، مثل بناء سورٍ على السقف حتّى لا يقع جارك من عليه فيقع عليك ذنب موته نحنُ في حياتنا لن نقع من على السطح فيقع علينا ذنب موت من يقع. ففي منطقتنا سطوح منازلنا ليست مستوية، ولا يصعد الناس إلى السطوح، ولذا فإن السور حول السقف قضية غير مهمة في منطقتنا. ولكن هذا المبدأ ينطبق على كلّ الثقافات، وهذا المبدأ هو وجوب أن نهتم بسلامة جارنا. عليك أن تحرس سلامة أخيك أو أختك وتحرس عليها. ليس كلّ مقاطع ووصايا الكتاب المقدس

لكل الظروف. نصوص الكتاب المقدّس لكل زمان، ولكنها ليس لكل الظروف. وعلينا أن نحدّد ظروفنا، ونعرف الطريقة التي بها نطبق تعاليم الكتاب المقدس بشكلٍ سليم في كلِّ الظروف.

—الدكتور كزي ج كينر

كما رأينا، تقدّم الأسفار المقدّسة نفسها أساساً لاهوتياً قوياً للفت الانتباه إلى الكاتب، والوثيقة وقراء كلِّ مقطعٍ كتابي. وبالطبع، يتطلب لفت الانتباه إلى هذه الأدلة الثلاثة إلى المعنى الأصلي عملاً شاقاً. ولكن كلاً ما ازدادت معرفتنا بالكاتب، والوثيقة، والقراء الأصليين لمقطع كتابيٍّ معيّن، نكون أكثر قدرةً على استكشاف معناه الأصلي. وكلّما ازداد فهمنا للمعنى الأصلي، نكون أكثر قدرةً على تطبيق الكتاب المقدّس على حياتنا اليوم.

بعد أن نظرنا إلى المقصود بالمعنى الأصلي واستكشفنا الأساس اللاهوتي الذي يدفعنا للبحث عنه، لننظر إلى أهمية التأكيد على المعنى الأصلي في استكشافنا للكتاب المقدّس.

## الأهمية

سننظر إلى طريقتين تُظهران أهمية القيام بعملية استكشاف صحيحة. سننظر أولاً إلى أهمية هذه العملية عبر تاريخ الكنيسة، خاصةً خلال فترة الإصلاح البروتستانتي. وثانياً، سننظر إلى بعض التحديات في الكنيسة المعاصرة التي قلّلت من أهمية استكشاف المعنى الأصلي. ولنبدأ بنظرةٍ سريعةٍ إلى تاريخ الكنيسة.

## تاريخ الكنيسة

ليس السعي للوصول إلى المعنى الأصلي تشديداً جدياً وحديثاً في التفسير الكتابي. صحيح أنّ تاريخ الكنيسة المسيحية شهد أوقاتاً نادت فيها الكنيسة بأنظمة تفسيرية مُحكمة كان اهتمامها بالمعنى الأصلي أقلّ من اهتمامنا به اليوم. لكنّ مع هذا، حتّى اللاهوتيون القياديون عبر تاريخ المسيحية على السعي للوصول إلى المعنى الأصلي باعتباره جزءاً أساسياً من تفسير الكتاب المقدّس.

أحد الأمور التي كانت تهتم الكنيسة الأولى هو الحفاظ على المعنى الأصلي للكتاب المقدّس في

مواجهة التحدّيات المتزايدة التي أثارها الجماعات الهرطوقية التي حرّفت معناه ليتلاءم مع مقاصدها وأهدافها. وقد سعى كثيرون من الكُتّاب الأوائل في تاريخ الكنيسة للتشديد والحفاظ على المعنى الأصلي للكتاب المقدّس، فالسلطة الوحيدة الحقيقية هي للرسالة الأصلية.

فمثلاً، أدان إيريناوس، وهو أحد آباء الكنيسة الأولى، وقد عاش بين العام ١٣٠ والعام ٢٠٢ م، التفسيرات الخاطئة لكتابات الرسول بولس في كتابه ضد الهرطقات، الكتاب ٣، الفصل ٧، القسم ١. استمع إلى ما قاله بهذا الشأن:

فيما يتعلّق بقولهم إن بولس قال بوضوح في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، "الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين"، إن هناك إلهاً لهذا العالم، وإله آخر يفوق كل الرياسات والسلطين وكل بداية وكل سلطة ... فهم يُظهرون أنّهم لا يعرفون كيف يقرأون كتابات بولس.

كان إيريناوس بكلامه هذا يدحض ما كان المعلّمون الغنوسيون يؤمنون به، حيث كانوا يعلمون أن يسوع أتى من إله أسمى من إله العهد القديم. وهؤلاء المعلّمون الكذبة كانوا يؤمنون أن ٢ كورنثوس ٤: ٤، تعلم أن العهد القديم "إله هذا العالم" قد أعمى الناس كي لا يروا وجود إله العهد الجديد الأسمى، الذي "يفوق كل الرياسات والسلطين وكل بداية وكل سلطة". وقد كرّس إيريناوس هذا الفصل في كتابه لإظهار أن هؤلاء المُفسّرين الغنوسيين لم يكونوا يعرفون كيف يقرأون كتابات بولس، لأنهم لم يكونوا يفهمون المعنى الأصلي الذي قصده بولس.

خلال العصور الوسطى في أوروبا، وُجِدَتْ أمثلة على أناسٍ متطرّفين نظروا إلى الكتاب المقدّس بشكلٍ رئيسي ضمن سياق تقليد الكنيسة. ولكن كان هناك أيضاً توجّه قويّ لإعطاء المعنى الأصلي وهو ما كان في كثيرٍ من الأحيان يُدعى سينسوس ليتهايراليس - *sensus literalis*.

فمثلاً، يظهر اللاهوتي الشهير توما الإكويني في كتابه الخلاصة اللاهوتية، المجلد ١، المسألة ١، الفصل ١٠، أن السينسوس ليتهايراليس هو أساس كل المعاني الأخرى التي يمكن أن تُرى في النصّ:

وهكذا، لا ينتج أيّ نوعٍ من التشويش في الكتابات المقدّسة، لأن كل المعاني مبنية على معنى واحد، هو المعنى الحرفي، وهو المعنى الوحيد الذي بالاعتماد عليه يمكن الوصول إلى أي حجة أو تعليم. فلا يمكن الوصول إلى أي حجة بالاعتماد على الفهم المجازي

## للنص.

يُرى في هذا الاقتباس بوضوح أن توما الإكويني كان يؤمن بأن هناك معاني كثيرة للكتاب المقدس، ولكنه أصرّ على أن "كل المعاني مبنية على ... المعنى الحرفي". وهذا المعنى الحرفي هو "الوحيد الذي بالاعتماد عليه يمكن الوصول إلى أي حجة" أو تفسير في الكنيسة.

في وقت لاحق، في فترة النهضة الأوروبية الممتدة ما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر، بدأت الكنيسة تفقد سيطرتها على تفسير الآداب والكتابات. ونتيجة لهذا، بدأ التشديد على التفسير المنسجم مع تقليد الكنيسة يضعف، وبدأ التشديد على المعنى الأصلي للكتاب المقدس يزداد. وخلال هذه الفترة، صارت بعض النصوص الكلاسيكية اليونانية واللاتينية القديمة تُتداول في أنحاء عدة في أوروبا بلغاتها الأصلية. والعلماء الذين درسوا هذه النصوص ركّزوا على لغاتها الأصلية وسياقاتها التاريخية. وعلاوةً على ذلك، فقد بنوا تقاسيرهم لهذه النصوص على المعنى الأصلي لا على سلطة الكنيسة وتقليدها.

أدى هذا التغيير إلى وضع أساس لأمرٍ كثيرة حدثت في علم التفسير خلال فترة الإصلاح في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وقد كرّس علماء عديدون، مثل مارتن لوتر وجون كالفن، أنفسهم لاستكشاف الكتاب المقدس في لغاته الأصلية وسياقاته التاريخية. كان هؤلاء يؤمنون أن معرفة المعنى الأصلي للكتاب المقدس يمكنهم من الحفاظ على الكتاب المقدس في مركز السلطة المطلقة والفائقة، حتى على لاهوت كنيسة روما.

ووسط العلماء الإنجيليين، صار هذا الاتجاه في تفسير الكتاب المقدس يُعرف باسم "النهج اللغوي التاريخي". يظهر هذا النهج في الكتاب المقدس، وقد كان بالغ الأهمية طيلة فترة تاريخ الكنيسة، وهو النهج السائد في دراسة الكتاب المقدس منذ زمن الإصلاح.

في العصور الوسطى، كان الكتاب المقدس كتاب كلّ المجتمع. فكان كلّ المثقفين يقضون معظم وقتهم وهم يدرسونه، وقد لعب دوراً عظيماً في المجتمع، وفي الكنيسة طبعاً. وفي دراستهم للكتاب المقدس، طوّروا خلال العصور الوسطى طريقة محكمة في قراءته ركّزت على طبقات مختلفة كثيرة في النصّ. وقد كان الوصول إلى المعنى الأصلي للكتاب المقدس، إن كُنّا نقصد بهذا التعبير القصد التاريخي الذي كان في فكر الكاتب، جزءاً مهماً من النهج المثبّع في التفسير في العصور الوسطى. ولكن كان يُنظر إلى هذا الأمر كوسيلة إلى هدف أعظم. فعلى خلاف التوجّه اللاحق في التفسير، كان يُنظر إلى قصد

الكاتب أو المعنى الأصلي بصفته أساس القراءة الجيدة، ولكن كان هناك أمورٌ يُنظر إليها باعتبارها أكثر أهمية من المعنى الأصلي - وهو التركيز الكريستولوجي، أو التركيز على المسيح، وكذلك التركيز على الأمور الأخيرة، أو الكريستولوجيا الأخيرة، في قراءة الكتاب المقدس. وبهذا، نرى أن قصد الكاتب كان مهماً، ولكن لم يكن يُنظر إليه بصفته الهدف، بل كوسيلة لتحقيق هدف.

—الدكتور جوناثان بينجتون

إن طرح سؤالٍ حول العلاقة بين المعنى الأصلي وتقليد الكنيسة في العصور الوسطى أمرٌ قد يجعل مفسر العصور الوسطى ينظر إليك باستغراب، لأنّ المفسرين في العصور الوسطى كانوا مهتمين بمعنى الكتاب المقدس بقوة. ولكنهم كانوا يأتون إلى الكتاب المقدس ولديهم قناعة أساسية هي أن تقليد الكنيسة هو تعليم الكتاب المقدس. سهلاً علينا نحن البروتستانت في القرن الحادي والعشرين أن نضحك على هذه الفكرة، ولكننا لسنا معصومين أمام هذا. فكثيرون من شعبنا نسمعهم يقولون: "أنت تعلم إن تعليم جون كالفن هو تعليم الكتاب المقدس"، أو ربما ينسبون هذا إلى جون وسلي أو مارتن لوتر أو أي شخصٍ آخر. إذن فما كان يحدث في العصور الوسطى هو أنهم كانوا ينتهجون منهجية تفسيرية مبنية على قاعدة الإيمان. السؤال الذي كان يطرحه مفسرو العصور الوسطى هو: "كيف يظهر الإيمان الذي سلّمه لنا الرسل عبر الجزئيات التي نراها في هذا المقطع؟"

—الدكتور كيري فنزانت

بعد أن رأينا أنّ استكشاف المعنى الأصلي للنصوص الكتابية كان أمراً بالغ الأهمية عبر تاريخ الكنيسة، لننظر إلى بعض التحديات لهذه الفكرة، والتي برزت في الكنيسة المعاصرة.

### الكنيسة المعاصرة

نعيش في زمنٍ يتم فيه التشكيك بطرق كثيرة في أهمية المعنى الأصلي لأي نصّ، وليس الكتاب

المُقدَّس فحسب. وكما رأينا، تكلم مُفسِّرون كثيرون في الماضي عن معانٍ عديدة لكَلِّ نصِّ كتابي، لأنهم آمنوا أن الكتاب المقدس أتى من الله الذي يتجاوز عقله قدرتنا على الاستيعاب. ولكن في عالمنا المعاصر، تم التشكيك في قيمة المعنى الأصلي للكتاب المقدس، أو لأي قطعة أدبية، ليس هذا بسبب الله، لكن بسبب طبيعة التواصل البشري.

في بدايات القرن العشرين، بدأت مدارس النقد الأدبي الحديثة بإهمال المعنى الأصلي. وقد تحدّثت أقدم هذه المدارس عن كون كُتاب الكتاب المقدس والقراء الأصليين للكتاب المقدس ليسوا معروفين بشكلٍ عام. إذ قال المؤرِّخون إنّه لا يمكن تحديد الكُتاب والقراء بشكلٍ يقيني. وشدّد علماء الأنثروبولوجيا على أننا لا نستطيع تطبيق استنباطاتٍ نابعة من الثقافات المعاصرة على ثقافاتٍ قديمة. واقترح علماء النفس أن القراء المعاصرين لا يستطيعون أن يميّزوا مقاصد الكُتاب الأصليين بطريقةٍ يمكن الاعتماد عليها والتيقن بشأنها. وجادل الفلاسفة قائلين إن كل معرفة بشرية هي معرفة ذاتية لا موضوعية، ولذا لا يمكننا في الحقيقة معرفة ما كان هؤلاء الكُتاب يفكِّرون به.

في منتصف القرن العشرين، قاد الإحباط من العجز عن تحديد الكُتاب القدماء وقرائهم، مُفسِّرين كثيرين لتجاهل هذين الأمرين تماماً وإلى التركيز على النصّ بشكلٍ كامل. وقد حاول نقاداً جُدد أن يقرأوا النصوص من دون أخذ أي سياق تاريخي في الاعتبار. ووجد أصحاب الاتجاه البنوي (structuralists) معنى في خيارات الكلمات الواردة في وثيقة ما في علاقتها بكل الخيارات الممكنة الأخرى بحسب النظام اللغوي. وبحث نقاداً نهج استجابة القارئ عن المعنى في استجابات القراء المعاصرين نحو النصّ.

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين، غالى علماء النقد الأدبي حتّى قالوا إن معنى النصّ نفسه لا يمكن معرفته، بل إنّه معنى شريّر. وبعض أصحاب الاتجاه بعد البنوي (post-structuralists) رفضوا السماح للكُتاب القدامى بأن يفرضوا أفكارهم على القراء الحديثين. ولذا شجّعوا قراءهم على "تفكيك" النصوص القديمة من خلال التركيز على التناقضات الواضحة والنصوص غير الواضحة بهدف جعل النصوص تبدو غير ممكنة الاستيعاب. وقد رفض كثيرون من العلماء النقيدين مقاصد الكُتاب، وشجّعوا قراءهم المعاصرين على أن يحزِّروا كلمات الكتاب المقدس لتتناسب مع مقاصدهم.

رغم أنه يبدو غريباً، يمكن في الواقع الحصول على الكثير من الأفكار المفيدة من علماء النقد الذين يتحدّون قيمة اكتشاف المعنى الأصلي للأسفار المقدّسة. لكن على وجه العموم، من الحكمة أن نتذكّر دروس حركة الإصلاح. إن الطريقة الوحيدة لتجنّب الاستبداد التفسيري، أي طغيان المُفسِّرين من البشر، هي بالنظر إلى المقاطع الكتابية في سياقها التاريخي الذي فيه أوحى الروح القدس بها. هذه هي الطريقة الوحيدة لتأمين سلطة الكتاب المقدس ضدّ الأفراد، والنزعات الثقافية، والكنائس، وآخرين استخدموا الكتاب المقدس بشكلٍ

متكرِّر لأهدافهم الخاصّة، وادّعوا دعمَ الكتاب المقدّس لهم، وذلك ليفرضوا سلطتهم على حياة الآخرين. رأى المُصلِحون أن الطريقة الوحيدة لتجنّب الطغيان التفسيري الذي كانت السلطات الكنسيّة تمارسه هي بالنظر إلى الكتاب المقدّس في سياقه التاريخي الذي فيه أوحى الروح القدس به. فالطريقة الوحيدة للاستناد على سلطة الكتاب المقدّس في مواجهة الطغيان التفسيري الذي يمارسه المعاصرون والحركات السياسية والكنائس والقوى الأخرى هي بالسعي للوصول إلى المعنى الأصلي للكتاب المقدّس.

## الخاتمة

في هذا الدرس، استكشاف الكتاب المقدّس، عزّفنا المعنى الأصلي للكتاب المقدّس بكونه هدف عملية الاستكشاف. وقد شرحنا الأساس اللاهوتي الذي يدفعنا للتركيز على المعنى الأصلي. كما نظرنا إلى أهمية الانتباه الجيد والحريص للمعنى الأصلي والاهتمام بالوصول إليه. كما رأينا في هذا الدرس، تشبهُ عدّة نواحي للتفسير الكتابي القيام بأعمال الحفر الأثرية. فنحن نستكشف الكتاب المقدّس في سياقاته التاريخية القديمة لنفهم معناه الأصلي، أي الطرق التي يهدف من خلالها الروح القدس وكتّابه الموحى إليهم حتى يؤثروا في مفاهيم، وسلوكيات، وعواطف قرائهم الأصليين. ويُعتبر بذل أقصى جهدنا لفهم المعنى الأصلي لكل نصّ كتابي أمر هامّ في التفسير، لأن المعنى الأصلي يحمل سلطان الله نفسه لكل شعبه عبر التاريخ. ولهذا السبب، علينا أن نكون مستعدين دائماً لتحسين فهمنا للمعنى الأصلي لكل مقطع كتابي، حتى نضمن اتّفاق كل تطبيقٍ معاصرٍ نصل إليه مع معناه الأصلي ذو السلطان.